

## الحواشي البلاغية وأهميتها عند العرب المتأخرين حاشية الأمير على شرح الملوّي على الرسالة السمرقندية في الاستعارات أنموذجاً

### Rhetorical footnotes and their importance to the late Arabs The prince's footnote to Al-Malawi's commentary on the Samarkandian treatise on metaphors as a model

إسراء الهيب  
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)  
Israa.heib@univ-alger2.dz

عبد القادر لعميري\*  
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)  
Lamiri.abdelkader@univ-alger2.dz

تاريخ القبول: 2025/02/25

تاريخ الإرسال: 2025/10/22

#### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أهمية نوع من أنواع المؤلفات العربية التي صنفت في العصور المتأخرة، وبالتحديد في عصر المماليك، ونقصد بها الحواشي البلاغية، لكن بعض هذه المؤلفات لم تحظ بما يناسبها من الدراسة والبحث والتّظنر، لا سيما ما اختصّ منها بمجال البلاغة. حاول البحث ذلك من خلال دراسة حاشية الأمير على شرح الملوّي على الرسالة السمرقندية في الاستعارات.

وقد خلص البحث إلى أنّ الحواشي البلاغية لها أهمية كبيرة في البحث البلاغي العربي، خاصة إذا علمنا أنها غير موجهة للمبتدئين في هذا الفنّ، بل ألفت لمن يريد الاستزادة في هذا العلم والإحاطة بشوارده ونوادره.

#### الكلمات المفتاحية:

البلاغة، المتون، الشّروح، الحواشي، التّقريرات، عصر المماليك.

#### Abstract:

This research aims to uncover the importance of type of Arab compositions the were formulated in later eras, specifically in the Mamluk era, These compositions were intended for rhetorical purposes, However, some of these works did not receive sufficient study and attention in the field of rhetoric, through an analytical study, this research attempts to explain what is termed rhetorical margins, focusing on the explanation of metaphors.

The research concluded that these footnotes are of great importance in rhetorical research, especially if we know that they are not intended for beginners in the science of rhetoric.

**Keywords:** Rhetoric, Almtnun , annotations, footnotes, reports, the Mamluk era.

\*المؤلف المرسل: عبد القادر لعميري

## مقدمة:

إنَّ علم البلاغة من أشرف العلوم العربيَّة وأعلاها قدرا، وأعظمها أثرا، وأبينها شرفا، له علاقة بالبيان الذي كان محلَّ اهتمام العرب قديما في جاهليتهم، ففاخروا به أنفسهم، وتفاخروا به على غيرهم من الأمم، حتَّى إذا نزل القرآن الكريم أُخرست ألسنة البلغاء، وانمهر لبلاغته الفصحاء، فزاد الاهتمام بالبلاغة ومحاولة الكشف عن أسرارها في الكتاب العزيز، فاستنبطت آراء، وأطلقت أحكام، وقُعدت قواعد جُمعت بعدُ في مؤلِّفات أدَّت إلى تأسيس هذا العلم عند العرب بعد نضجه واكتماله، فأتى بعد ذلك من عمل على اختصارها وشرحها، وقد كثُر في العصور المتأخِّرة - لا سيما عصر المماليك - وضع الحواشي عليها، فكثرت التَّحشية في هذه الفنِّ كثرة غير مسبوقة، خاصة وأنها اقتربت بآتساع أنواع المعارف والعلوم، وزيادة الإقبال على العلم تعليما وتعلُّما.

ومن تتبَّع تاريخ البلاغة من المؤلِّفين المعاصرين، يجد أنَّهم توقَّفوا كثيرا في العصر الجاهلي، وتوقَّفوا أكثر في قرون ما بعد الإسلام إلى القرن السابع هجري، حتَّى إذا وصلوا إلى عصر المماليك، اكتفوا بما شاع بينهم بأنَّ هذه الفترة هي فترة جمود وركود للبلاغة، ما رَيْن عليها مرور الكرام إلى ما اقترح في العصر الحديث من تجديد للبلاغة، والدعوة إلى إعادة النَّظر في تراثها القديم. وهذا لعمري إجحاف في القول دون النَّظر والتَّبصُّر، ومن هنا جاءت فكرة البحث في أهميَّة الحواشي البلاغية عند العلماء المتأخِّرين، وقد سلطنا فيها المنهج الوصفي التحليلي.

## 1- الحاشية البلاغية، مفهومها ونشأتها:

## 1-1 مفهوم الحاشية:

1-1-1 الحاشية لغة: الحشو: ما حَشَوْتَ به فراشا وغيره. والحشِيَّةُ: الفراش المحشُو. وتقول: انحشى صوت في صوت، وانحشى حرف في حرف. وحاشيتنا الثوب: جانباه الطويلان، وحاشية السراب: كل ناحية منه. والحشو من الكلام: الفضل الذي لا يُعتمد عليه. وجاء في "المعجم الوسيط" أنَّ الحاشِيَّة: من كل شيء جَانِبِه وطرْفِه، والحشو: مَا يحشى بِهِ الشَّيء، والحاشية: مَا عُلِّقَ على الكُتاب من زيادات وإيضاح، والجمع حواشٍ<sup>ii</sup>.

1-1-2 الحاشية اصطلاحا: عبارة عن أطراف الكتاب، ثم صار عبارة عمَّا يكتب فيها من شرح وإيضاح، وما يجرّد منها بالقول، فيدوّن تدويناً مستقلاً، ويقال لها: تعليقة أيضا<sup>iii</sup>.

وقد كان المؤلِّف أو النَّاسخ يترك لها فراغا على جانبي صفحة المخطوطة ليتمكّن القارئ من التعلُّق والتَّحشية، أمَّا المؤلِّف عندما يريد إضافةً أو تفسيراً أو استطرادا، فإنَّه يدرجه في المتن ويميّزه بقوله: (تنبيه، فائدة، تعليق، بيان، حاشية، إشارة لطيفة، أو مبحث)، وما مائل هذه الألفاظ، وقد ظهر هذا في التَّأليف العربي في نهاية القرن السابع الهجري<sup>iv</sup>.

ولم يكن للحواشي نظام عند الأقدمين؛ إذ كانت توضع أحيانا بين الأسطر، أو في جوانب الصّفحة، أمّا المحدثون فإنّهم يضعونها أسفل الصّفحة. وكان علماءنا الأقدمون يميّزون بين مفهوم المتن والشرح والحاشية والتّقرير، أمّا المتن فهو مصطلح يطلق عند أهل العلم على مبادئ فنّ من الفنون، جمعت فيه رسائل صغيرة خالية من الاستطراد والتّفصيل والشّواهد والأمثلة إلّا في حدود الضّرورة. وأمّا الشرح فيقصدون به شرح المتن، وهو عمل يتوّجّى فيه ما غمّض من المتون من مهم الكلام، وتفصيل ما أجمل منها، وهو يتراوح ما بين الطّول والقصر والسهولة والعسر، وفيه الوجيز والوسيط والبسيط، وقد تورد فيه بعض الاستدلالات. وأمّا الحاشية فهي بمنزلة شرح للشرح، تكون على مواضع من الكتاب فقط، إنما جعلت لإيراد المشكل، وهي إيضاحات مطوّلة دعت إليها ظاهرة انتشار المتون والشّروح، وقد قصد منها حلّ ما استغلق من الشّرح، وتيسير ما يصعب فيه، واستدراك ما يفوت، والتّنبيه على الخطأ، والإضافة النّافعة. وأمّا التّقرير فهو بمثابة شرح الحاشية، وهي هوامش كان يسجّلها العلماء والمصنّفون على أطراف نسخهم، ممّا يعنّ لهم من الخواطر والأفكار على نقطة معيّنة أو نقاط متعدّدة، وذلك أثناء قيامهم بالتّدريس من الشّروح والحواشي.<sup>v</sup>

## 1-2-1: نشأة الحواشي البلاغية وسبب ظهورها:

### 1-2-1 نشأة الحواشي:

قبل الحديث عن نشأة الحواشي البلاغية، لا بد من نبذة موجزة نتبّع فيها تطوّر البلاغة مذ أن كانت فطريّة ساذجة في العصر الجاهلي إلى أن أصبحت حواشٍ وتقريرات، فالبلاغة كغيرها من العلوم العربيّة لم تكن وليد ساعة أو يوم، وإنّما مرّت بمراحل عديدة حتّى اكتمل نضجها وأصبحت علماً مستقلاً قائماً بذاته له قواعده وقوانينه. ولعلّ أوّل مرحلة نشأ فيها هذا العلم تعود إلى العصر الجاهلي، الذي "نشأت فيه البلاغة أوّل الأمر فطريّة ساذجة، لم يرها العرب في كتب ولم يتلقوها عن أستاذ، وإنّما كانت لهم بفطرتهم وسليقتهم العربيّة الخالصة، حيث اتّخذت مظهرين عامّين: مظهر يشترك فيه العرب جميعاً حين يستمعون إلى شعر شاعر فيقدرونه ويطربون له معتمدين على ذوقهم الرّاق، ومظهر مقتصر على الأخصائيين من الشعراء الذين كانوا لا يكتفون بإظهار الإعجاب أو السّخط، وإنّما يعمدون إلى إبداء الملاحظات والآراء على ما يسمعون"<sup>vi</sup>.

وبمجيئ الإسلام ونزول القرآن أُخرست ألسن البلغاء، وكُمّت أفواه الفصحاء، الذين وقفوا منبهرين أمام بلاغته العالية؛ إذ لم يعهدوه فيما كانوا يفتخرون به، ولم يستطيعوا أن يقولوا مثله، فانطلق العلماء من بعدُ باحثين عن أسرار إعجازه محاولين كشفها وتوضيحها للنّاس، فجاءت تلك الأبحاث عبارة عن ملاحظات وإشارات مبنوثة هنا وهناك إلى أن ألّفت الكتب التي لها علاقة بهذا الفنّ، حيث "يذكر الباحثون في تاريخ البلاغة أنّ كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ) قد ألّفه عقب سؤاله عن سرّ بلاغي يتعلّق بإحدى آيات القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: {طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيْطَانِ} الصّافات: (65). في تشبيهه طلع شجر الرّقوم برؤوس الشّياطين التي لم يرها النّاس قط"<sup>vii</sup>، فلا شكّ إذن أنّ للقرآن تأثيراً عظيماً في نشأة البلاغة وتطويرها كسائر العلوم العربيّة التي نشأت في ظلّ الكتاب العزيز، فقد عكف

العلماء على دراسته وبيان أسرار إعجازه، إلا أنّ هذه الأسرار كانت متناثرة في مؤلفات العلماء بعد ذلك ممزوجة بعلوم اللّغة والأدب والتّفسير وغيرها من المؤلفات المتعلّقة بالدراسات القرآنية، وباللّغة العربية عامّة.

وبعد استقرار العرب في المدن والأمصار التي فتحوها، وانفتاحهم على ثقافتها، ارتقت حياتهم العقلية، ممّا هيأ ملاحظات بيانية كثيرة، حيث أخذت هذه الملاحظات تتسع في العصر العباسي الأوّل بحكم التعمّق في الحضارة وفي الثّقافات الأجنبية، وإتقان الموالي للعربية إتقاناً جعلهم يكثر من ملاحظاتهم على خصائصها البلاغية. وقد تناثرت هذه الملاحظات أيضاً في مؤلفات الأدباء واللّغويين والمتكلمين لا سيما المعتزلة، وأكبر معتزليّ عني بهذه الملاحظات البيانية الجاحظ (255هـ) حيث ألف كتابه "البيان والتّبين" الذي أشار فيه إلى بعض الفنون البلاغية، كالاستعارة والتّشبيه والإيجاز والإطناب وغير ذلك، فكان الجاحظ من الذين أسهموا في وضع أسس البلاغة، ونرى من اللّغويين والنّحاة ابن قتيبة (276هـ) الذي تميّز في كتابه "الشعر والشّعراء" عن سابقه، بأن وضع لكلّ لون بلاغيّ باباً يخصّه، إلا أنّ وضعه هذا لم يحدد فيه المصطلحات، بل كان بحثاً أدبياً خالصاً، بخلاف المبرّد (285هـ) الذي وضع أبواباً لهذا الفنّ وتقسيمات في كتابه "الكامل في اللّغة والأدب"، ثمّ أخذت هذه الكتب تميل إلى التّخصيص أكثر فأكثر، خاصّة مع كتاب الشّاعر عبد الله بن المعتز (296هـ) في كتابه "البديع" الذي بناه على فنون خمسة أساسية، ثم أضاف إليها ثلاثة عشر فناً، جامعاً بين فنون بديعية خالصة وفنون بيانية، وهي الاستعارة والتّشبيه والكنية، وبذلك كان أوّل واضع للبديع وفنونه"

8

. ثم توالى الكتب والمؤلفات التي تحمل في ثناياها مادّة بلاغية ضخمة أفاد منها البلاغيون من بعد، ككتاب "سرّ الفصاحة" لابن سنان الخفّاجي (466هـ)، و"تلخيص البيان في مجازات القرآن" للشّريف الرّضي (406)، و"إعجاز القرآن للباقلانيّ" (403هـ)، و"النّكت في إعجاز القرآن للرّمانيّ" (384هـ)، و"العمدة" لابن رشيق القيروانيّ (463هـ) وغيرهم ممن أسهموا في إرساء قواعد علم البلاغة، إلى أن اكتمل صرحها على يد الإمام عبد القاهر الجرجانيّ (471هـ)، الذي وضع نظريتي علم المعاني وعلم البيان في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، ولم يحدث بعد هذين الكتابين أيّ تغيير كبير في فنون البلاغة؛ لأنّه استطاع أن يستوعب ملاحظات البلاغيين قبله فجمعها في كيان خاصّ، ووضع له أسساً وقواعد دقيقة.

ولعلّ خير من تمثّل كتب عبد القاهر وطبّق ما جاء فيها محمود بن عمر الرّمخشري (538هـ) في كتابه "الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التّأويل"، وكان الإمام فخر الدّين الرّازي (606هـ) من أوائل من اتّجهوا إلى الاختصار والتّليخيص، حيث قام بتلخيص كتابي عبد القاهر في كتابه "نهاية الإيجاز ودرية الإعجاز"، ومع أبي يعقوب السّكاكي (626هـ) الذي استعان بعلمه الواسع في المنطق والتّعليل والتّعريف والتّقسيم والتّفريع تحوّلت البلاغة على يديه إلى قواعد وقوانين، وذلك في كتابه "مفتاح العلوم"، وقد نال هذا الكتاب شهرة فائقة في ميدان البلاغة أنست من جاء بعده بالتّفكير في تجديد

البلاغة، أو إضافة شيء من ذلك ابتداء من القرن السابع الهجري إلى القرن الماضي عاكفين على دراسته وشرحه وتلخيصه، فمن الذين عنوا بشرحه قطب الدين الشيرازي (710هـ) في كتابه "مفتاح المفتاح"، ومظفر الخلخالي (745هـ) في كتابه "شرح المفتاح"، والسيد الشريف الجرجاني (816هـ) في كتابه: "الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم في علوم البلاغة"، وابن كمال باشا (940هـ) ألف "شرح المفتاح". أما الذين عنوا باختصاره منهم: بدر الدين مالك (668هـ) في كتاب "المصباح في المعاني والبيان والبديع"، والقزويني (739هـ) سمّاه "تلخيص المفتاح"، وعبد الرحمن الشيرازي (756هـ) في كتابه "الفوائد الغيائية". وقد نال تلخيص القزويني شهرة واسعة بين العلماء، فممن من شرحه، ومنهم من لخصه، ومنهم من نظمه، فمن شراحه: بهاء الدين السبكي (773هـ) في كتابه "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح"، وابن يعقوب المغربي (1110هـ) في كتابه "مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح"، وقد وضع له سعد الدين التفتازاني (792هـ) شرحين: "المختصر"، و"المطول"، وممن نظمه شعرا جلال الدين السيوطي (911هـ) في كتابه "عقود الجمال"، وعبد الرحمن الأخضر (983هـ) في كتابه "الجواهر المكنون في الثلاثة فنون"<sup>9</sup>، وغير هؤلاء كثير، ولا زالت خزائن المخطوطات تحوي عددا كبيرا من الكتب التي دارت حول "شرح مفتاح العلوم" أو "تلخيص القزويني".

كانت كتب المتقدمين تؤلف لتتضمن ما اهتموا إليه من حقائق علمية، وحرص أصحابها على استيفاء البحث في كل مسألة بذكر جميع ما يتصل بها، ولو كان ذلك على سبيل الاستطراد أو لأدنى ملائمة، حتى اكتملت معالم هذا العلم، ونضجت أبحاثه، وتمت مسأله، وحينما جاء من يريد أن يضيف جديدا لم يجد موضعا لإبداعه وابتكاره، إلا توضيح ما عسى أن يكون صعبا فهمه، أو توضيح ما ظهر من خلاف، أو الانتصار لمسألة على أخرى، أو غير ذلك، فازدادت التأليف، وتشعبت الأبواب، وكثرت المسائل وتنوعت التأويلات.

ولقد أدى هذا كله إلى ظهور فئة تسعى إلى اختصار الأبواب المتشعبة، ومحاولة تقريب المسائل من أذهان المتعلمين، "فاتجهت العناية إلى خدمة المؤلفات في هذا الفن عوضا عن خدمة الفن نفسه، فألفت المتون المنظومة التي ظهرت لها شروح أكثر اتساعا، وذلك في القرون السابع والثامن والتاسع، ثم برزت بعدها الحواشي على هذه الشروح في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر، والتقريرات على الحواشي في الثاني عشر والثالث عشر"<sup>10</sup>؛ للاستزادة من الإحاطة بالشرح، ومحاولة البحث في كل شاردة وواردة. ونذكر من هذه الحواشي:

- (حواش على شرح السيد للمفتاح) منها: حاشية البسطامي (871هـ)، وحاشية لمحي الدين جلبي (954هـ)، وحاشية للشهاب الخفاجي (1080هـ).
- (حواش على المطول لسعد الدين التفتازاني) منها: حاشية للسيد الشريف الجرجاني (816هـ)، وحاشية لعز الدين بن جماعة (819هـ)، وحاشية لشمس الدين الفناري (838هـ)، وحاشية لعبد الحكيم السيكوتي (1067هـ).

- (حواش على شرح المختصر لسعد الدين التفتازاني) منها: حاشية أحمد بن يحيى حفيد سعد الدين (906هـ)، حاشية نظام الدين الخطابي (901هـ)، حاشية ياسين العليمي (1061هـ) وله حاشية أخرى على حاشية حفيد السعد، وحاشية الخفاجي (1069هـ)، وحاشية الحفني (1181هـ)، وحاشية البتاني (من علماء القرن الثالث عشر)، وحاشية الدسوقي (1230هـ)، وغيرها من الحواشي.

أما من التقريرات فنجد:

- (تقريرات على المطول لسعد الدين التفتازاني) منها: تقرير لعبد الرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر (توفي سنة نيّف وعشرين وثلاث مائة).  
- (تقريرات على المختصر لسعد الدين التفتازاني) منها: تقرير محمد بن محمد شمس الدين الأنباري الشافعي شيخ الجامع الأزهر (1313هـ)<sup>11</sup>.

لقد جاءت هذه الشروح والحواشي في أكثرها بأساليب منطقية فلسفية، مستقاة من علم الكلام ومن علم أصول الفقه، مركزة على ضبط الحدود والتعريفات، ومحاولة ضبطها حتى تكون جامعة مانعة، بالإضافة إلى الاهتمام بتقسيم المسائل وتبويبها، وحفظ الجزئيات والشوارد والنوادر النفيسة، "فلا غنى عن دارس البلاغة في معرفة أصولها وجزئياتها وأقسامها، كما لا مناص له من التدريب على الشرح والتدقيق؛ وذلك ليعرف دارس البلاغة العلم ويتربى لديه الحس البلاغي"<sup>12</sup>، ولقد سار هؤلاء على هدى الطريق الذي رسمه صاحب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" للفخر الرازي، ولم يحدوا عن القواعد الصارمة التي وضعها صاحب "المفتاح" أبو يعقوب السكاكي، من توظيف لما تشبعت به نفوسهم من علم المنطق والفلسفة التي كانت له فائدة كبيرة في جمع مسائل البلاغة، وضبط اصطلاحاتها، وتقسيم فصولها وتنظيم أبوابها على نمط خاص لازال إلى يومنا هذا.

والحق أنّ جلّ هذه الأصول والفروع العلمية الكثيرة كانت في عصر المماليك، العصر الذي يعتبر من أغنى العصور في المؤلفات التي صنفت على أيدي مؤلفين لم يتركوا فناً إلا أحاطوا به وكتبوا عنه، وقد قال عمر عبد السلام تدمري في مقدّمة تحقيق كتاب "نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك": "إنّ العصر المملوكي هو عصر الموسوعات الضخام، وعصر المؤلفين العملاقة الكبار، والموسوعيين الأفاضل، أمثال: ابن حجر، وابن منظور، وابن تيمية، وابن كثير، والذهبي، والصفدي، والمقريزي، والعيني، والسخاوي، والسيوطي"<sup>13</sup>، وغيرهم كثير لا نحصى عدداً، فازدهرت الحركة العلمية لا سيما الحواشي البلاغية لعدة أسباب كما سيأتي.

## 1-2-2 سبب ظهور الحواشي البلاغية:

الملاحظ في أحوال الناس القائمة أيام دولة المماليك يجد أنّ المغول قد خرّبوا بغداد وأعملوا السيف في أهلها وأحرقوا كثيرا من مكباتها، وامتدّ زحفهم إلى الشام واشتهر تحالفهم مع الصليبيين، هذا من الشرق، أما من الغرب فقد فرّ المسلمون من الأندلس بعد أن سقطت دويلاتهم وطوائفهم الواحدة تلو الأخرى، في ظل هذه النكسات التي يعيشها العالم الإسلامي، لم يجد العلماء موطناً آمناً يلجؤون إليه غير موطن

واحد، وهو دولة المماليك القائمة على مصر والشّام، وترسّخت قيمة هذا الملجأ بعد الانتصار السّاحق الذي حقّقه المماليك على المغول في معركة (عين جالوت) وما بعدها وبذلك بدأ الحكم المملوكي وعصرهم سنة (648هـ)<sup>14</sup>، في ظل هذا الاستقرار الذي عاشته دولة المماليك، عمل سلاطينها على تنشيط الحركة العلمية، فازدهرت هذه الحركة بسبب عوامل عدّة:

أولاً: عامل خارجيّ تمثّل فيما يلي:

- وقوع كثير من البلاد الإسلامية في يد المغول، فغطّى سيل التّار من أواسط آسيا إلى الشّام، فكان مسرحاً للنّزاع العنيف بين دول التّار والمماليك، فالتفّ المسلمون حول من يحافظون عليهم من سلاطين المماليك، وعملوا على تدعيم ملكهم، فكان أهمّ وسائل تدعيم الملك إحياء العلوم والمعارف.
- قتل العلماء وإتلاف الكتب العلميّة، وعلى أثر ذلك فرّ من فرّ من العلماء من ظلم التّار، أو أنف الإقامة في ظلهم واستقرّ بهم المقام في كنف سلاطين مصر.
- وفود العلماء والأدباء إلى مصر والشّام، ومن هؤلاء: ابن مالك الأندلسيّ، وابن خلدون وغيرهما.
- زوال الخلافة العبّاسيّة واتّجاه الأعيان إلى مصر، حيث كانت مركزاً للخلافة<sup>15</sup>.

ثانياً: عامل داخليّ تمثّل فيما يلي:

- غيرة السّلاطين والأمراء: وقد تجلت هذه الغيرة منهم في كفاحهم للتّار ومحاربتهم للفرنجة، حتّى ردّوا هؤلاء وهؤلاء عن مصر والبلاد المقدّسة، وهذه النّزعة من دأبها أن توقظ أمثالها في نفوس العلماء وتدفعهم إلى رفع راية التّعليم والتّأليف ومواصلة البحث والاطّلاع.
- تعظيم أهل العلم: فقد أقاموا للعلماء وزناً، ولا ريب أنّ هذا التّعظيم له الأثر المباشر في نفوس العلماء على أن يظلّوا حريصين على العلم، وأن يبثّوا هذه الروح في نفوس طلابهم.
- شعور العلماء بواجبهم وتنافسهم في أدائه: فكان لهذا التّنافس الشّديد الأثر المفيد في إحياء العلوم، وبخاصّة في ميدان العلم والتّأليف.
- انصراف العناية إلى اللّغة العربيّة: ولا شكّ أنّ ممّا أعان أهل العلم في تلك الآونة عناية السّلاطين باللّغة العربيّة التي اضطرتهم الظروف إليها اضطراراً، فأطلقوها تجري كما شاءت لها الأقدار في ضبط أمور الملك والسّياسة والقضاء والعلوم، وذلك لعجز لغتهم التّركية أو الشركسيّة عن أداء ما يتطلّبه الملك الواسع من ضبط وأمن وربط، ونشر تعليمات وبعث مراسلات وكتابة.
- إنشاء دور التّعليم ونظامها: لا شكّ أنّ إنشاء دور التّعليم يعتبر سبباً أساسياً وحيويّاً لتنشيط الحركة العلميّة، لما تضمّنه من مدرّسين وطلّاب، ولا ريب في أنّ وجود دور الكتب العامّة، أو الخاصّة، له الأثر المحمود في التّهوض العلميّ ونشاط حركة التّأليف.
- العناية باختيار العلماء: وقد عني السّلاطين والأمراء ومؤسّسوا المدارس باختيار علمائها الذين يشرفون على أمورها، وأساتذتها الذين يتولّون التّدريس فيها وغير التّدريس، فانتخبوهم من بين الأفاضل ذوي الشّهرة المعروفين بالعلم والفضل.
- تشجيع المؤلّفين: حيث إنّ العلماء قد وجدوا كلّ ضرب من ضروب التّشجيع على المضّيّ قدما

في الناحية العلميّة، ففتحت لهم المدارس وأُجريت لهم المرتبات، وأُغدقت عليهم الهبات والصلّات إلى غير ذلك، وبذلك قد وجدوا ما يشجّعهم على المضيّ في التّأليف والتّدوين والتّصنيف.

- تنافس العلماء: التّنافس هنا ليس المراد منه تنافسهم في سبيل العلم وفي سبيل التّأليف ومباراتهم بالمنظرات والمحاضرات فحسب، إنّما التّنافس أيضا في سبيل بلوغ المراكز العالية التي خصّصت لهم في القضاء وفروعه، وفي مشيخة الإسلام وفي مشيخة المساجد والخوانق، سواء أكان الإغراء بالرواتب الماديّة، أم المنزلة الأدبية التي يصلون إليها بمصاحبة السّلطان، وتنافس العلماء من هذه الناحية كان من وسائل تشجيع الحركة العلميّة<sup>16</sup>.

لقد زخر هذا العصر بالعدد الوافر من علماء المذاهب الأربعة والأصوليين والنّحويين واللّغويين والأدباء والمؤرّخين وغيرهم، وقد كانت مؤلّفاتهم أضعاف أعدادهم لا سيما في مجال العلوم العربيّة، فأنشئت المتون لاستيعاب المطوّلات وجمع الشّتات، ووضعت تسهيلات لحفظها وسرعة استحضارها، واختصرت المطوّلات، فازدادت الحاجة إلى الشّروح والحواشي.

ولا ريب أنّ هذه المؤلّفات كانت تملأ دور الكتب المصريّة في العصر المذكور بجوار دور التّعليم، فلمّا جاء الفتح العثمانيّ عام (923هـ) وأزالوا حكم سلاطين المماليك، أخذوا ذخائر البلاد ونفائسها وفي مقدّمها تلك المؤلّفات، وحملوا ما حملوا إلى عاصمة بلادهم، فامتألت مكتباتهم بها.

من خلال ما سبق يظهر جليا سبب ظهور الحواشي وغيرها من الشّروح والمؤلّفات بداية من القرن السّابع الهجري إلى ما بعده؛ لأنّ سلاطين المماليك أرادوا أن تنال دولتهم الصّيت الذي نالته بغداد وقرطبة في العلم، فاهتمّوا بالعلم والعلماء، وكثرت المناظرات والمباحثات العلميّة، ونمت العلوم نموًا لم يعهد لها من قبل، وحلّل كل علم فيه تحليلا دقيقا، وبُحثت أجزاءه بحثا كاملا، وقد ظهرت الحاشية في هذا العصر و دعت إليها الضرورة بعد تصنيف المتون والشّروح وزيادة الإقبال على العلم، فبدأت ظاهرة الحواشي والتّقريرات في أواخر العصر المملوكي، وانتشرت في العصر العثماني، وأصبحت ظاهرة راسخة في التّأليف، و منهجا سائدا من مناهجه، وبفضلها ازدهر العلم في ذلك العصر، وتعقّب فيها العلماء بعضهم بعضا، لا يُرفع قلم حتى يُوضع آخر مكانه، يتعقّب مزالّه، ويستنير بهداه، ومن هنا كانت للحواشي البلاغية أهمية كبيرة عند العرب المتأخّرين. وهذا ما سنتناوله بشيء من التّفصيل في المبحث التّالي.

## 2- أهميّة الحواشي البلاغية عند العرب المتأخّرين:

بعد الثّورة العلميّة التي أطلقها سلاطين المماليك في شتّى المجالات لا سيما في علم البلاغة، انكبّ علماء هذا العصر على هذا العلم دراسة وتدرّيسا، من نظم للمتون، واختصار المطوّلات، ووضع الشّروح، في محاولة للتّقرب من الأفهام أكثر فأكثر، فازدادت الحاجة إلى هذا العلم لتوضيح ما بقي من المستغلق، وما خفي من الأسرار، واستدراك ما فات، والتنبيه على الأخطاء، واستنباط الفوائد الجليّة، وتحرير الكلام النّفيس، وذلك بوضع الحواشي التي تتّسع لاحتواء كلّ شاردة وواردة<sup>17</sup>، فكثرت الحواشي البلاغية، وقد كانت لها أهميّة بالغة عند العلماء العرب المتأخّرين سنعددها في التّقاط الآتية:

- لقد شهد علماء الحواشي أنفسهم على قيمة الحواشي البلاغية وذلك في مقدّماتهم، فكثيرا

ما نجدهم يصفونها بالفريدة، الخريدة، اليتيمة، الفائقة، المشحون باللطائف والدقائق، وغير ذلك من الصفات التي تعبر عن ذلك مما لم يستطع الكثير فهمه. من ذلك: يقول الدسوقي في مقدمة حاشيته على شرح التفتازاني لـ "تلخيص المفتاح": "هذه فوائد شريفة، وتقييدات لطيفة"<sup>18</sup>، ويقول الشيخ مخلوف المنيوي في حاشيته على الصبان: "هذه حواشٍ أشرفت في سمائها شمس التحقيق، وتقارير فائقة أجود من البحر بفرائد التدقيق (...). مشحونة باللطائف والدقائق، أودعتها ما لم يحزه تأليف سابق ولا لاحق، فهي الفريدة التي لم يقرب من وصفها مؤلف، والخريدة التي لا تبغي إلا كفوًا يدرى قدر ما به من لطائفها يتحف"<sup>19</sup>، فكيف من قرأ في بعض الكتب أنّ هذه الحواشي أكسبت البلاغة الجمود، وأصابها لعنة الركود، وهو لم يطّلع عليها أصلاً؟ ولعلّ من ذهب إلى هذا قد بالغ وابتعد عن جادة الصواب، إذ كان ذلك في بعض الحواشي لا جليها.

- الدّارس لهذه الحواشي يجد أنّ أغلب علماء الحواشي البلاغية يذكرون في مقدّماتهم سبب وضعهم للحواشي، وأنّ ذلك راجع لسؤال طلبتهم، فجاءت هذه التّأليف استجابة لطلبة العلم فالغرض كان تعليميًّا، ما يبيّن مدى احتكاك العلماء وتقريهم من طلبة العلم، وهذا دليل على أهميّة الحواشي في هذا العصر، خاصة إذا كان طلبها من المتعلمين الذين مروا على المتون والشروح وطلبوا الحواشي للاستزادة والتّفصيل الدّقيق في مسائل العلم، ما يعكس الهمة العالية في طلب العلم في هذا العصر، من ذلك: قول السيّد الشّريف الجرجاني في مقدّمته على المطوّل: "فهذه حواشٍ على الشّرح المشهور لتلخيص المفتاح، كنت قد قيّدتها عليه جملة، حال ما قرأه عليّ بعض أحبّتي. فسألوني بعد أمد أن أفصلّها وأنقدها، ففعلت ذلك مستعينا بالله"<sup>20</sup>، فلولا إلحاح طلبة العلم في هذا العصر على مثل هذه الحواشي وانفتاح شهيتهم للاستزادة منه والهمة العالية، ما كلف العلماء أنفسهم عناء تعريف الحقائق، وفهم الدّقائيق.

- كثرة الحواشي البلاغية التي وضعها الأئمّة الكبار دليل على أهمّيّتها في ذلك العصر؛ إذ كانوا لا يكتفون من تأليف شيء لا يابه به طلبة العلم أو غيرهم.

- لإدراك أهمية الحواشي البلاغية لأبد من معرفة أنّها لا تخاطب المبتدئين في علم البلاغة، أو الذين حصلوا قليلاً منها، بل تخاطب المتضلعين فيها ممّن حفظوا المتون ودرسوا الشروح ووقفوا على كتب المتقدمين والمتأخرين، ولعلّ هذا ردّ على من ينكر الحواشي ويصفها بالجمود والتكرار وغير ذلك ممّا لم يستطع فهمه من الجزئيات والدّقائيق التي يحتاجها المتطلّع والمتبحّر الذي يريد المقارنة وبحث في الفوارق بين النسخ أو الأمور المعقّمة في علم البلاغة. يقول السيّد الشّريف: "وعسك إذا تأملت فيها...ظفرت بما تستعين به على تحقيق أصول فنّ البلاغة في مواضع شتى، وتتسلّق به إلى فروعها كما تحبّ وترضى"<sup>21</sup>.

- لقد كشفت لنا الحواشي وتقارير علماء البلاغة في أغلبها عن الدّوق الرّفيع؛ إذ يعرف المحسّي متى يضع التعلّيق ومتى يرفع قلمه عن ذلك، وهنا تستملح الحواشي والمطوّلات البلاغية.

- الحواشي البلاغية تكشف لنا عن قدرات علمائنا الأفاضل العلميّة التحليليّة الدّقيقة، وسعة

اطّلاعهم ودقّة استحضارهم لعدد من أقوال العلماء مرتّبة ترتيباً مهراً، حيث استطاعوا فهم المستغلق وبيان المراد لا سيما في النّص الشّرعي، الذي من أجله وجدت البلاغة وبعدها التلخيصات والمتون والشروح والحواشي والتّقريرات.

- تعتبر الحواشي البلاغيّة من السّخاء والكرم في العلم، الذي لم يبخل به العلماء على طلبتهم ومن أتى بعدهم، فهم قد جمعوا هذا العلم، وحفظوه ورثّوه، ثمّ جادوا بما جادت عليهم قرائهم، وأوصلوه إلى اللاحقين بأقصر السّبل وأسهلها.

- تحوي الحواشي البلاغيّة فوائد جليّة نجدها في المطوّلات التي لم يحقّق الكثير منها، وهذا الطّول لا يعيها، بل يفتح باب المناقشة بين العلماء، ويوضّح أفكارهم ولطائفهم، ويجب عن كثير من غوامض المسائل بالتأمّل والتّدبّر والتّبصر، الذي يدعوا إليه أصحاب غير المطوّلات.

- البلاغة لها علاقة وطيدة مع القرآن الكريم وفهمه على الوجه الصّحيح، والقرآن الكريم كتاب مفتوح على الأسرار الدّقيقة واللّطائف البليغة إلى أن يُرفع، فهذه الحواشي والتّقريرات تحوي من الأسرار واللّطائف والدّقائق، التي تساعد على فهم الكتاب العزيز ما لم تحوه كتب الشّروح والرسائل والمختصرات.

- الحواشي تفصّل الخلاف، وتبحث في المسائل الدّقيقة، وتحكم عليها بطريقة منطقيّة موافقة لفهم العقل البشري، كل ذلك يكسب دارس البلاغة تمريناً للعقل، ودربة في التعامل مع النّصوص، ممّا يشكّل عنده الحسنّ البلاغي.

- الحواشي البلاغية وغيرها تكشف عن الدّقائق التي لا يمكن أن يُتنبّه إليها، وكثير منها يحيل إلى كتب ورسائل ومؤلّفات قد أغفلتها يد التاريخ أو تناستها؛ لذا وجب الإبقاء على هذه الحواشي وتنزيلها مع المخطوط، فهي إضافة علميّة جليّة تعود على الأمتّة بالنّفع، فلا يجوز أن نجرّد النّسخ من حواشيتها وقد تعب العلماء في وضعها، فهي أصلاً تخدم النّصّ الأصليّ الذي هو محلّ التّحقيق.

- للحواشي البلاغية أهميّة بالغة في الفصل بين المسائل الخلافية التي أثارها العلماء في نصوصهم الأولى، "وإنّ الذي صنع الحاشية في البلاغة اتّكأ على نصّ أصيل، فحاشيته لا تُفهم من غير النّصّ الرّئيس، ومن جاء وكتب تقريراً فإنّه ربطه بالحاشية التي ترتبط بالنّصّ الأوّل، ولكن الذين جاؤوا بعد ذلك نظروا لكل عمل على انفراد، فقطعوا الصّلة الفكرية بين الأصل والفرع والشرح، ومن هنا وصموا فترة الحواشي والتّقريرات على أنّها جامدة، وهي في حقيقتها وجه من وجوه التّأليف البلاغيّ ينبغي أن يعاد النّظر فيه"<sup>22</sup>.

### 3- منهج الأمير في حاشيته على شرح الملويّ على الرّسالة السّمركنديّة في الاستعارات:

#### 1-3 التّعريف بالأمير:

هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السّنباويّ الأزهرّي، المعروف بالأمير، عالم بالعربيّة، من فقهاء المالكيّة. ولد في ذي الحجّة سنة أربع وخمسين ومائة ألف من أصل مغربيّ، إذ هبط أهله مصر وسكنوا بلدة سنبو من أعمال أسيوط، وفيها ولد، وكان قد حفظ القرآن، ولما جوده أُجيز، وطلب العلم في الأزهر وأخذ عن أئمّة الأشياخ فيه، واشتهر فضله وذاع صيته في بلاد المغرب، وكان يأتيه

الطلاب من كل فجّ، وبعثته البواعث إلى (الأستانة) مقرّ الخلافة يومئذ، فألقى دروساً حضرها أعيان العلماء هناك فأقروا بفضله، وشهدوا بسعة علمه، واستجازوه فأجازهم، وكانت تأتبه الصلّات من سلطان المغرب كلّ عام. صنّف في كثير من العلوم وكانت تصانيفه موضع الثقة والإجلال لما امتازت به من براعة التّحرير وجودة التّحقيق، وأكثر كتبه حواشٍ وشروح، منها:

- (حاشية على شرح الملوّي على الرّسالة السّمرقنديّة في الاستعارات) في البلاغة.

- (حاشية على مغني اللّبيب لابن هشام - ط) في العربيّة مجلدان.

- (حاشية على شرح الشّدور - ط) في النّحو.

- وله (ثبت - ط) في أسماء شيوخه وتراجمهم وتراجم من أخذوا عنهم، وغيرها.

توفي يوم الإثنين عاشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف هجريّة، دفن بالصّحراء بجوار مدفن عبد الوهّاب العفيفي بالقرب من عمارة قايتباي<sup>23</sup>.

**2-3 التّعريف بحاشية الأمير:** هي عبارة عن حاشية بلاغيّة في فنّ الاستعارات من علم البيان،

وسمّيت الحاشية باسم: (حاشية الأمير على شرح الملوّي على رسالة الإمام السّمرقنديّ في فنّ الاستعارات) واشتهرت بـ (حاشية الأمير)، وهذه الحاشية يوجد منها نسخة في مكتبة الرّياض بقسم المخطوطات تحت رقم (588)، وقد طبعت طبعة حجرية "بالمطبعة العامرة الأزهرية، وفي طرفها "شرح الملوّي" للسّيّد محمد رمضان في أواخر ذي القعدة سنة (1308هـ)<sup>24</sup>، بمكتبة الإسكندرية في واحد وأربعين صفحة.

**3-3 منهج الأمير في حاشيته:**

**1-3-3 المقدمة:** افتتح الشّيخ الأمير حاشيته على هذا الشّرح بالحمد والثّناء على الله عز وجلّ، مصليّاً على الرّسول المصطفى - صلى الله عليه وسلّم - على عادة المؤلّفين في عصره ومن جاء قبلهم، وذلك ببراعة استهلال تنبئ عن موضوع التّأليف، قال: "لك الحمد الحقيقيّ منك يا حميد يا مجيد، وإنّما مجاز حمدنا تخييل واستعارة في إطلاق التّجريد... صلى الله عليه وعلى آله وسلّم"<sup>25</sup>، ثمّ ثنى بذكر الرّسالة التي هو بصدد وضع الحاشية عليها، فقال: "فيقول محمّد الأمير المصريّ الأزهرية: هذا ما نرجو الله تعالى فيه على شرح شيخنا وشيخ مشايخنا ومشايخهم العلامة الملوّي على الاستعارات"<sup>26</sup>، ثمّ شرح البسملّة وأفاض في شرحها من النّاحية النّحوية والصّرفيّة والبلاغيّة واللّغويّة، متعقباً إيّاها بذكر الخلاف في (الحمدلّة) هل هي جملة مستقلّة عن البسملّة، أم أنّ الحمد داخل في البسملّة؟

**1-3-3 الطّريقة:** طريقة الأمير في حاشيته على هذا الشّرح، أنّه يضع عبارة الملوّي بين قوسين، ثمّ يضع حاشيته عليها، وليس كلّ عبارة يتطرق إليها، إنّما التي يراها جديرة بالتّوضيح، وهذا شأن الحواشي، فهي تبين المهمّ، وتوضّح المستغلّق، وتنبّه على الخطأ، وتُسْتنبط فيها الفوائد، وتستدرك ما فات.

**2-3-3 الإحالة:** لقد كتب الشّيخ الأمير حاشيته بأسلوب علميّ دقيق تظهر دقّته من خلال إحالة القارئ إلى كتبه وأقواله فيها، من ذلك قوله: "قلت في مبحث علاقات المجاز المرسل من حاشية المجدولي"<sup>27</sup>، فهنا أحال إلى موضع آخر. وقوله: "لأنّ المقصود الاعتناء وإظهار التّعظيم، وبقي مباحث شريفة أوردناها في "شرح البسملّة" الكبير وحاشية الشّيخ عبد السّلام اللّقاني على جوهرة والده"<sup>28</sup>. كما

تظهر من خلال عزو النقول إلى أصحابها والالتزام بالحرفية في النقل متحلياً بالأمانة العلمية في ذلك كعادة العلماء الكبار، من ذلك قوله: "قلت: قال في "المغني": الإلصاق حقيقي (... قال الدماميني: والظاهر في مسألة الثوب المجاز؛ إذ هو إصاق بما يجاور زيد. قال الشّمني: وجوابه: أن اللّغة لا يناقش فيها هذه المناقشة"<sup>29</sup>، وفي كثير من الأحيان نجد المحشّي يحيل القارئ إلى مصادر الأقوال التي ذكرها الشّارح الملوّي، كقوله: "وشيخنا ناقل عن المناوي، ولا يخفّك أنّه عن كلام محي الدين"<sup>30</sup>، وكقوله أيضاً: (قوله: بتفضيل من الله تعالى) عرّج الشّارح على ما ذكره السنوسي في "شرح الوسطي والبوسي" في آخر حواشي "الكبرى"<sup>31</sup>. أما في بعض الأحيان نجده لا يذكر الإحالة، بل يكتفي بذكر: (قال بعضهم، قيل، ومن ذهب... إلخ) كقوله: "وأجراها بعضهم على الخلاف في المقدر... ولبعضهم في التي خبرها فعل دوام الحدوث"<sup>32</sup>، ولعلّه يحيل القارئ على ما سبق ذكره، نحو قوله: (قوله: أبحاث) هي المناقشات السابقة مع العصام وحفيده"<sup>33</sup>. أو يحيله إلى ما سيأتي تفادياً للتكرار والتطويل، نحو قوله: "والتقسيم اعتباري تجتمع فيه الأقسام على ما يأتي عن السعد والسيد... ولغيرهما أيضاً مما سيتّضح إن شاء الله تعالى"<sup>34</sup>.

3-3-3 السّعة العلميّة: كثيراً ما نجد العلامة الأمير يتناول المسائل بذكر ما قيل فيها من أقوال العلماء ومذاهمهم، ما يدلّ على سعة اطلاعه، والقدرة على استحضارها، وحسن ترتيبه وتنسيقه لها، من ذلك قوله في الجملة الاسميّة والفعليّة: "ثمّ الجملة الإسميّة تدلّ على الدوام على قول صاحبي "الكشاف" و"المفتاح"، وفي كلام الشّيح عبد القاهر لا تدلّ إلا على مجرد الثبوت، فجمع السّعد بينهما بأنّ الشّيح نظر لأصل الوضع، وهما نظراً للدلالة العقلية بقريّة المقام أو العدول، أي: فيما إذا كان الأصل الفعليّة بأن كان المسند إليه مصدراً كما هنا، فالأصل (حمدت حمدا) كما في الأشمونيّ وغيره على ما فيه من عدم الملحى القويّ، وأما استناد الرضيّ إلى أن الأصل في كلّ ثابت استمراره فضعيف لا يخصّ الاسميّة حتّى قيل به في (كان)، وذهب الحفيد إلى حمل كلامهما على الأصل ومخالفة الشّيح، ويردّه كلام الخطائيّ كما بسطه العلامة الغنيّ، ثمّ ظاهر ما سبق أن الاسميّة لا تفيد الدوام بالوضع ولو كان خبرها صفة مشبهة، وهو الذي في السّيد على "المطول"<sup>35</sup>، فأنت تراه كيف ينقلك من مقام إلى مقام، ومن عالم إلى آخر، بأسلوب علمي متناسق دقيق يدلّ على سعة علمه واطلاعه.

- هذه الحاشية هي وثيقة بلاغية تاريخية لأهمّ من ألف في علم البلاغة، حيث ذكر فيها المحشّي على صغر حجم الحاشية (واحد وأربعون صفحة) - أكثر من خمسين مؤلفاً كان قد رجع إليه أو أخذ عنه، أو ردّ عليه، أو وافقه، أو خالفه، أو غير ذلك.

- دعوة القارئ إلى التأمل، التدبّر، التّبصّر في حكمه على المسائل التي حرّرها، وهذا ما يفعله جل المحشّين في حواشيمهم، حيث يقدّمون عصارة ما أنتجه فكركم، وكأنهم يقولون للقارئ: لن تفهم ما حرّزناه إذا لم تتلّع على النّص الأصلي وشرحه، ومع ذلك لن تفهم المسألة إلا إذا تأملت فيها أكثر وأكثر، فهم يذكرون -غالبا- في نهاية كل مسألة بذلك. ونقول: إذا اطّلع القارئ على النّص الأصليّ مع شرحه، ثمّ تأمل المسألة ولم يفهمها فليتهم فهمةً وليراجع نفسه قبل أن يطلق أيّ حكمٍ في ذلك.

- الاختصار في العبارة، فكثيراً ما يستخدم عبارة (وحاصله، وحاصل الجواب، وجوابه...) دون

ذكر آراء العلماء قبل ذلك، وأحيانا يستطرد في المسألة، كاستطراده في حديثه عن (الحمد) وعن (الكلبي والجزئي).

- التّدقيق في المسائل اللّغويّة والنّحويّة والصّرفيّة، كقوله: " (قوله: الفواضل) جمع فاضلة، والفضائل جمع فضيلة، واشتهر أن الأولى متعدية، والثانية القاصرة، ولعله اصطلاح، وإلا ففعلية بمعنى: فاعلة، فالمأل واحد (... ) (قوله: بعد) من متعلقات الجزاء (... ) ولا داعي لتقييد الشرط وهو أدقّ من قولهم في المشهور ليكون الشرط مطلقاً" (... ) (قوله: الإمام) هو و (الأمة) يشتركان في مادة الأمّ، بمعنى: القصد، ويتعاكسان من جهة أن الإمام يُقصد لِيَتَّبَعَ بالبناء للمفعول فيهما والأمة تقصده لتتبعه من جهة أن الأمة تكثر في الجماعة وتقل في المفرد"<sup>36</sup>.

- التّدقيق في الأعلام، نحو قوله: (قوله السمرقندي) رأيت بخط شيخنا البدر الحنفي -بفتح الميم وسكون الراء- نسبة لسمرقند [وهي] مدينة وراء النهر"<sup>37</sup>.

- توظيف المصطلحات المنطقيّة على ما هو شائع لا سيما في الحواشي البلاغية، كالكلبي والجزئي، الدّلالة العقليّة، عموم وجهي، الدّاتي والعرضي، العام والخاص، الجوهر... إلخ.

- توظيف الآيات القرآنيّة في معرض الردّ على بعض الآراء، أو توضيح عبارة، نحو قوله: " (قوله الاستعارات) شبّه غرض الشيء الذي لا يخرج عنه بظرف محيط به من جميع جهاته، ولا يناسب قول بعض الحواشي في استعارة تبعية لمعنى على مثلها في قوله تعالى: ((وَأَصْلِبَنكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ)) طه: الآية (71) (...) ووجه عدم مناسبته: أن كلا من الظرفية والاستعلاء هنا مجاز، فما معنا الاستعارة بينهما، وأما في الآية فقد تحقق الاستعلاء الحقيقي. تأمل. (قوله: عوارف) جمع عارفة بمعنى: معروفة، ك ((عَيْشَة رَاضِيَة)) القارعة: الآية (07)، بمعنى: مرضية."<sup>38</sup>

- توظيف الأحاديث النبوية الشّريفة في معرض التّوضيح عن طريق المقارنة، كقوله: " حيث كان الحمد للجميل فهو في الأيلولة راجع لصاحب الجميل، فكان كونه لغيره طريقاً ظاهرياً يرجع له، نظير ما قيل في حديث ((يسبّ ابن آدم الدهر وأنا الدهر)) لأن معناه: الفعل لي لا للدهر"<sup>39</sup>. وقد يُبين ما تشير إليه العبارة من أحاديث نحو قوله: " (قوله: إلى يوم الدين) أي: إلى قربه، فإنّ السّاعة تقوم على شرار الناس بصيحة فزعها... بل المعنى: مستمرّين طائفة بعد طائفة إلى يوم الدين، وفيه تلميح لحديث ((لا تزال طائفة من أمّتي على الحق))"<sup>40</sup>. وفي بعض الأحيان يشير إلى حديث ضعيف دون تمييزه من الصحيح، كقوله في حديث ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم))<sup>41</sup>، قال ابن حزم في "أصول الأحكام" ج2/ص:61: باطل ومكذوب. أما إذا ميّز ضعفه فيذكر ذلك، نحو قوله: " وقد ورد ضعيفاً: ((ألّ محمد كلّ تقّي))"<sup>42</sup>.

- توظيف الأبيات الشعريّة، لزيادة التّوضيح كما ورد في حديث ((ألّ محمد كلّ تقّي)) قال: " وفي ديوان العارف سيدي محي الدين بن عربي قدّس سرّه:

لبسُ التّقّي للنفس خيرٌ لباسٍ \*\*\* يزهو به المسعودُ بين الناسِ  
إنّ الشريفَ هو التّقّي المُرتضى \*\*\* لا الهاشمي ولا بنو العبّاسِ

إلا إذا اتقوا إلا لله فإنهم \*\*\* أهل المكارم والندى والباس.

وأحيانا نجده يذكر شطر بيت دون أن يشير إلى قائله وذلك لشهرته، كذكره لعجز بيت قيس بن الملوّح (مجنون ليلى) فقال: ..... \*\*\* ليلاي منكنّ أم ليلى من البشر"43.

- الاعتماد في الإيضاح على نفس الأمثلة التي استخدمها البيانيون من قبل على غرار (كثير الرماد) في الكناية، (فلان يأكل الدّم) أي: الدّيّة، و(أسد) للرجل الشجاع، و (أظفار المنية)، و(فرس المنقوش في الجدار) و(لجين الماء) وغيرها من الأمثلة المشهورة عند البيانيين، واعتماده عليها لأنها مذكورة في النصوص القديمة التي وضعت عليها شروح حافظت عليها لتوضيح كلام القدماء، وجاءت الحواشي للاستزادة في التوضيح أكثر.

- الاعتذار لبعض الأئمّة والتماس العذر لهم، من ذلك قوله: (قوله: لأنّ كلا من العطيّتين) قال العصام: لأنّ كل ما وهب للنبي -صلى الله عليه وسلم- من العطايا فهو يعمّ الحامد وغيره من مسلمي البرايا. قال الشارح في "الكبير" هذه الكليّة ممنوعة، قال: وعجبي لمن يأتي بالفقرة ولا ينظر فيها أدنى نظرة... انتهى. وقد يقال: لا يستحق هذا التشنيع، ولعلّ العصام اعتمد على ظهور أن المراد: كلما وهب وأمكن تعدّيه؛ إذ بديهي أن نحو جماله الشريف لا عموم فيه ولا تعدّي"44.

أما عندما يشنّع على أحدهم فلا يذكره بعينه، بل يذكره بعمومه، كقوله: " (قوله: تخاطب المستعمل) يعني: إذا حصل تخاطب وليس بلازم حصول تفاعل بالفعل حتى لا يشمل استعمال الشخص وحده. وطاش ما أطال به بعض الناس هنا"45.

- الاستقلالية في الرأي، حيث نراه يخالف الشارح أو غيره فيما يراه، كقوله: (استعارة لفظ الظرفية) الحقّ أنه لا داعي لهذا، إنما الذي يسري التشبيه كما قال"46، وقد لا يتحرج من تبني قول أحد العلماء في معرض الرّدّ على مسألة ما، كتبني قول العصام في قوله: " (قوله: واشتقاق الفعل أو الوصف منه) أي من المصدر المستعار ... فظاهر كلامهم اعتبار الاستعارة في المصدر أيضا، قيل: يرده اتحاد المادّة واختلاف الزمن خارج عن المصادر، فالحقّ ما قاله الشيخ عصام الدين من الاكتفاء فيهما بالتشبيه"47، وقد لا يُخفي إعجابه بأحد المناقشات، كقوله: " (قوله: من أفراد المشبه به) رده السيّد بأنّ المبالغة والتأويل تكون بدعوى الاتّحاد... وأجاب عبد الحكيم بأنها لو كفت لقليل بها (...) وقد قال السكاكي بنظير ذلك في المكنية (...) فمناقشة السيّد جيّدة بالتأمّل الصادق"48.

- من منهج الشيخ الأمير في الحاشية الإنصاف، وإن وافق المصنّف في كثير من الأحيان، كقوله: " (قوله: وإلى ما قررنا) الانصاف أن سياق المصنّف ظاهر في القرينة المصححة لا المعيّنة إلا أن يحمل على التمام الكامل"49.

- الاعتماد على فهم القارئ، أي: يضع في ذهنه أنه يخاطب من حفظ المتن ودرس الشرح ثم ارتقى إلى الحاشية، كقوله: " (قوله: ليخرج) لم يجعل القيد لإدخال الصلاة لغة في الأركان الجزئية، وشرعا في الدعاء للكليّة...ولو من بعض الوجوه، وأنت خبير بأن هذا تحكّم في الجمع والمنع"50، وقوله في علاقات المجاز المرسل: "وبالجملة الحاذق يعرف مقال كل مقام"51.

- الإشارة إلى المسائل التي ذكرها الشارح وهو يعرض بأحد العلماء، كقوله: "قوله المشبه به) يشير بذكر المشبه به لمناقشة الحفيد حيث قال... (قوله: عائدة إلى) يشير إلى نكتة التعبير ب (عوائد) وردّ لقول عصام لو قال: (فرائد فوائد) لكان أحسن (... (وقوله: إلى مرشحة) يشير لردّ قول العصام<sup>52</sup>.
- استخدام أسلوب الفنّلة، الذي يقوم على أساس طرح استشكال بافتراض سؤال ثم الجواب عنه، كقوله: "إن قلت هذه من الحقيقة المنقولة وسبق خروجها بالقيّد الذي قبل هذا، قلت: إمّا أن تجيب على ما أفاده في "كبيره" (... أو يُخصّ السابق بمنقول في اصطلاح واحد"<sup>53</sup>.
- كثرة وتنوع موارد الكتاب بين الأصول والشروح والحواشي التي اطلع عليها، لا سيما شيخه العدويّ والشيخ العصام، لقد تبين مما سبق أن الشيخ الأمير يعدّ من كبار المحشّين في فن البلاغة العربية، حيث كان له سعة اطلاع على مسائل البلاغة غمّها وسمينها، ممتلكا ذلك الحسّ النقدي الذي استطاع به أن يرتّب المسائل وينسّقها مستحضرا إياها في موضع الردّ، أو الاستشهاد، أو تبّي أو تحليل أو مناقشة رأي ما، سالكا المنهج الوصفي التحليلي.

#### خاتمة:

لقد تبين مما سبق أنّ للحواشي البلاغية أهميّة كبيرة عند العرب المتأخّرين، حيث كثر هذا النوع من التّأليف كثرة غير مسبوقه، وكثرتها دليل على أهميتها، فقد ألفت جُلّها استجابة لطلبة العلم الطّامحين إلى الإمام بفنون هذا العلم وقواعده، وفكّ ما استعصى عليهم منه، واستدراك ما فات، والوقوف على الأخطاء الدقيقة وتصحيحها، فلم يبخل علماء ذلك العصر بما جادت عليه قرائحهم عليهم، فهذه الحواشي تكشف عن الدّوق الرفيع لعلمائنا الأفاضل في اختيار مواضع التعليق، وتبيّن قدراتهم في التّعامل مع النّصوص، باستحضار أقوال العلماء مرتّبة في تناسق وانسجام كبير يفتح شهية المستزيد للاستزادة، فيتمرنّ العقل، وتكتسب الدّربة في التّعامل مع النّصوص، الأمر الذي ساعد على فهم كلام العلماء الأوائل وصولا إلى فهم الكتاب العزيز، الذي من أجله وجد علم البلاغة وبعده الحواشي البلاغية.

من أبرز النتائج المتوصل إليها:

- ظهور الحواشي في العصر المملوكي، وازدهارها في العصر العثمانيّ من بعد، وسبب ذلك راجع إلى تشجيع السلاطين والأمراء للحركة العلميّة، وتنافس العلماء على المناصب العالية، كالقضاء ومشخة الأزهر وغير ذلك.
- وضع العلماء الحواشي البلاغية للمتمكّن في علم البلاغة، أي: الذي درس المتن والشرح، ثمّ أراد الاستزادة في التّدقيق، وفكّ المستغلق، وكشف الأسرار، واستدراك ما فات، ومحاولة الإمام والإحاطة بالفنّ؛ فالمحشّي عندما يتكلم في مسألة ما، يضع في ذهنه أنّ القارئ لهذه المسألة مطّلع على أصولها العامة، وعلى شروحيها المختلفة، فنجد في نهاية كل مسألة -غالبا- يدعو القارئ إلى التأمّل والتدبّر والتبصّر وإعادة النظر أكثر فأكثر، فالذي وضع تقريراً اعتمد على الحاشية التي اتكأت على النّصّ الأصليّ؛ إذ كثير من المحشّين يجمعون في بعض المسائل، ويشيرون إليها إشارة خاطفة، يحسبها غير المطّلع فكراً

جامدا أبعد البلاغة عن مسارها الصحيح، كما نجدهم يفصلون فيما يريدون توضيحه ويستطردون في ذلك، فيظنّ غير المتبصّر أيضا أنّها من التكرار، وهي ليست في ذلك من شيء.

- الحواشي التي بحثت في فنون البلاغة هي نوع من أنواع التأليف الكثيرة التي صنّفها العرب حيث لا يمكن إغفالها، فهي بقدر ما تبتعد عن الذوق الأدبي، تقترب من تمرين العقل وترويضه على فنون الفهم والردّ والقبول والمناقشة والترجيح، مثلما ينادى به في البحوث والدراسات الحديثة؛ لذا لا يمكن لدارس البلاغة أن يستغني عن تمرين العقل، كما لا يمكنه الاستغناء عن الذوق الأدبي، فلا بدّ أن يجمع بينهما ليحصّل ما لم يحصله من جاء قبله.

- لقد كان لحاشية الأمير في شرحه على الملوي على الرسالة السمرقندية - على قلّة عدد صفحاتها - الأثر البالغ على الشراح والمحشّين في عصره ومن جاء بعدهم، والمطلع على الحواشي البلاغية وحتى التحوّية يجدها لا تكاد تخلو من رأي، أو مناقشة، أو مداخلة، أو غير ذلك للعلامة الأمير؛ وذلك لمنهجه الواضح، وآراءه المنصّفة، واستقلاليّة الرأي، وحسن توظيف موارده الكثيرة والمتنوعة والإشارة إليها بأسلوب علمي دقيق قد تميّز به الأمير.

- تبقى الحواشي البلاغية أصولا خاصّة لأهل العلم يرجعون إليها وقت الحاجة، وهي من تراثنا العربيّ الفريد الذي لم يوجد مثله في الأمم السابّقة ولا اللاحقة؛ وذلك لصلتها بكتاب الله العزيز. من الاقتراحات والتوصيات المتصلة بهذا الموضوع:

- أقترح أن يعاد النظر في هذا العصر برمّته، وعدم الاتكال على ما يوصف به هنا وهناك من الجمود والركود، بل لا بدّ من الوقوف الفعلي على دراسة هذا النوع من الحواشي وربطها بأسبابها الحقيقيّة التي جعلت طلبة العلم وعلمائهم - آنذاك - يقبلون عليها إقبالا زائدا.

- كثير من الحواشي البلاغية لا سيما المطولات لازالت على رفوف المكتبات تنتظر من يخرجها إلى النور، فلا بدّ من تحقيقها تحقيقا علميا وإخراجها إلى النّاس، فهي في النهاية تمثّل جزءا من تراثنا العربي الكبير.

## الإحالات:

- <sup>i</sup> ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، (باب الثلاثي المعتل)، ج3، ص: 185.
- <sup>ii</sup> ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، (باب الحاء)، ج1، ص: 177.
- <sup>iii</sup> حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، 1941م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ج1، ص: 623.
- <sup>iv</sup> ينظر: بنين، أحمد شوقي، وطوبى، مصطفى، 2005م، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزنة الحسنية، الرباط، 121.
- <sup>v</sup> ينظر: بن عويقل السلمي، عبد الله، 1420هـ، المتون والشروح والحواشي والتقاريرات في التأليف النحوي، مجلة الاحمدية، السعودية، العدد: الرابع، الصفحات: 29، ص: 05.
- <sup>vi</sup> فتحي عبد القادر فريد، بحوث ومقالات في البلاغة، مكتبة النهضة المصرية، ص: 68.
- <sup>vii</sup> نفسه، ص: 73.

- 8 ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ص: 369/368.
- 9 ينظر: المراغي، أحمد مصطفى، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، دار العلوم، مصر، ص: 40/09.
- 10 نفسه، ص: 35.
- 11 نفسه، ص: 37/36.
- 12 حمد أبو علي: محمد بركات، بحوث ومقالات في البيان والنقد الأدبي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ص: 149.
- 13 الصّفدي، الحسن بن أبي محمد، 2003م، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص: 05.
- 14 ينظر: السّرجاني، راغب، قصة التّار، دار التّقوى، مصر، ص: 281.
- 15 بدر الدين، حسن بن قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، دار الفكر العربي، مصر، ج 1، ص: 16.
- 16 نفسه.
- 17 ينظر: بن عويقل السليبي، عبد الله، 1420هـ، المتون والشروح والحواشي والتقاريرات في التأليف النحوي، مجلة الاحمدية، السعودية، العدد: الرابع، الصفحات: 29، ص:
- 18 ينظر: الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، المكتبة العصرية، بيروت، ج 1، ص: 15.
- 19 المنيأوي، مخلوف بن محمد، حاشية مخلوف بن محمد المنيأوي على الرسالة البيانية للصبان، المكتبة الأزهرية، رقم: 66887، اللوحة 01.
- 20 الجرجاني السيد الشريف، علي بن محمد، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 33.
- 21 نفسه.
- 22 حمد أبو علي: محمد بركات، بحوث ومقالات في البيان والنقد الأدبي، مصدر سابق، ص: 151.
- 23 ينظر: المراغي، أحمد مصطفى، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مصدر سابق، ص: 202. والزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ج 7، ص: 72/71.
- 24 الأمير، محمد بن محمد، حاشية الأمير على شرح الملوي على الرسالة السمرقندية في الاستعارات، مكتبة الإسكندرية، مصر، ص: 41.
- 25 نفسه، ص: 02.
- 26 نفسه.
- 27 نفسه، ص: 03.
- 28 نفسه، ص: 07.
- 29 نفسه، ص: 03/02.
- 30 نفسه، ص: 04.
- 31 نفسه، ص: 09.
- 32 نفسه، ص: 05.
- 33 نفسه، ص: 15.
- 34 نفسه، ص: 12.
- 35 نفسه، ص: 05.
- 36 نفسه، ص: 08.
- 37 نفسه، ص: 08.
- 38 نفسه، ص: 08.
- 39 نفسه، ص: 06.
- 40 نفسه، ص: 09.
- 41 نفسه، ص: 06.
- 42 نفسه، ص: 12.
- 43 نفسه، ص: 08.
- 44 نفسه، ص: 09.

- 45 نفسه، ص: 15.  
 46 نفسه، ص: 22.  
 47 نفسه، ص: 22.  
 48 نفسه، ص: 19.  
 49 نفسه، ص: 27.  
 50 نفسه، ص: 15.  
 51 نفسه، ص: 18.  
 52 نفسه، ص: 12.  
 53 نفسه، ص: 15.

## المراجع:

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، (باب الثلاثي المعتل).
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، (باب الحاء).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، 1941م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد.
- بنين، أحمد شوقي، وطوبى، مصطفى، 2005م، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية، الرباط.
- بن عويقل السلمي، عبد الله، 1420هـ، المتون والشروح والحواشي والتقاريرات في التأليف النحوي، مجلة الاحمدية، السعودية.
- فتحي عبد القادر فريد، بحوث ومقالات في البلاغة، مكتبة النهضة المصرية.
- ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة.
- المراغي، أحمد مصطفى، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، دار العلوم، مصر.
- حمد أبو علي: محمد بركات، بحوث ومقالات في البيان والنقد الأدبي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان.
- الصّقدي، الحسن بن أبي محمد، 2003م، نزهة المالك والملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- بدر الدين، حسن بن قاسم، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، دار الفكر العربي، مصر.
- الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، المكتبة العصرية، بيروت.
- المنياوي، مخلوف بن محمد، حاشية مخلوف بن محمد المنياوي على الرسالة البيانية للصبان، المكتبة الأزهرية.
- الجرجاني السيد الشريف، علي بن محمد، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المراغي، أحمد مصطفى، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، مصدر سابق، ص: 202. والزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين.
- الأمير، محمد بن محمد، حاشية الأمير على شرح الملوي على الرسالة السمرقندية في الاستعارات، مكتبة الإسكندرية، مصر.